

<p>شعبة الدراسات العربية وحدة الشعر الحديث الأستاذ عبد الغني حسني</p>	 <p>المعنية بتعدد التخصصات الناجور FACULTÉ PLURIDISCIPLINAIRE DE NADOR</p>	<p>جامعة محمد الأول الكلية المتعددة التخصصات الناظور</p>
---	---	--

## حركة الإحياء الشعري

### (1) مفهوم الإحياء الشعري ونشأة الحركة:

كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية لحركة الإحياء الشعري التي جاءت معبرة عن تطور طبيعي وتدرجي للشعر العربي الحديث وساهمت فيها عوامل متعددة أهمها حركة الإصلاح الجماعية التي شهدها المشرق العربي والتي شملت مجالات الدين والفكر والأدب، فضلا عما شهده المجتمع العربي بالمشرق من حركة ثقافية بفعل التحولات التي طرأت عليه خلال القرن التاسع عشر بانتشار الطباعة وظهور الصحافة واعتناء بإحياء التراث الأدبي والفكري والديني...

فقد أصبحت الظروف مهيأة خلال هذه الفترة لامتداد تلك الدعوات الإصلاحية والإحيائية لتشمل الشعر أيضا مثلما شملت مختلف مناحي الحياة والفكر. وهكذا توجه اهتمام محمود سامي البارودي ومن جاء بعده من الشعراء إلى إحياء الشعر العربي في بعدين هما:

- تخليصه من رواسب الانحطاط التي ألغت وظيفته في المجتمع وجعلت منه ضربا من ضروب التسلية والتلاعب بالألفاظ والمحسنات البديعية.

- جعله وسيلة من وسائل الإصلاح الفردي والاجتماعي، مع الاعتناء فيه بجانب الصدق في التعبير والصور البيانية والبعد به عن التكلف الذي كان منصرفا إلى الجانب اللفظي.

وكانت الوسيلة التي لجأ إليها الشعراء لتحقيق هذه الغاية هي العودة إلى الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره واتخاذ نمودجا للاحتذاء، والعودة بعد ذلك إلى التراث الأدبي والفكري والقيمي بوصفه وسيلة مثلى لإخراج الأمة من تخلفها وتحقيق النهضة المنشودة.

وكانت العودة إلى الماضي، بغاية تطوير الشعر وإعادته إلى المكانة العالية التي كان يتسنىها حينما كان تعبيرا جماليا صادقا عن قيم المجتمع الأصيلة من كرم وفروسية وطلب للمجد، دونما تكلف في استعمال المحسنات. وقد بين البارودي هذه الوظيفة التجديدية لحركة الإحياء الشعري في حديثه عن مفهوم الشعر ضمن تقديمه لديوانه (انظر النص المقتبس من مقدمة ديوان البارودي ضمن نصوص حركة البعث والإحياء)، كما بينها بعده أحمد شوقي في تقديمه لديوانه أيضا قائلا: "قدمنا هذا ليعلم به فريق يحتقرون الشعر، وآخرون منا، معشر الشبان، يضمرون للعربي منه عداوة من جهل الشيء، ويرون بينه وبين الشعر الإفرنجي بعد ما بين المشرق والمغرب، ناسين أن العرب أمة قد خلت ودولة تولت، فلا ينبغي أن يؤخذوا إلا بما تركوا، وأن المسؤول عن خروجه بعدهم إنما هو الخلف المفرط والوارث المتلاف.

اشتغل بالشعر فريق من فحول الشعراء جنوا عليه وظلموا قرائحهم النادرة وحرموا الأقوام من بعدهم، فمنهم من خرج من فضاء الفكر والخيال ودخل في مضيق اللفظ والصناعة، وبعضهم أثر ظلمات

الكلفة والتعقيد على نور الإبانة والسهولة، ووقف آخرون بالقريط عند القول المأثور: (القديم على قدمه)، فوصفوا النوق على غير ما عهدتها العرب عليه وأتوا المنازل من غير أبوابها، ودخلوا البيداء على سراب... وزعمت عصبة أن أحسن الشعر ما كان في واد والحقيقة في واد...

على أن الكل قد مارسوا الشعر فنا على حدة، واتخذوه حرفة وتعاطوه تجارة، إذا شاء الملوك ربحت وإذا شاؤوا خسرت... والحاصل أن إنزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يجلب عنها، ويتبرأ الشعراء منها"

وعلى هذا الأساس جعل البارودي للشعر مكانة سامية يستمدّها من تهذيب النفس وتدريبها على المكارم. وهو ما لا يتأتى له إلا إن كان ممتازا بسمات أبرزها:

- الصدق في التعبير
- والبعد عن التكلف اللفظي
- ووضوح المعاني وشفرفها

وهي سمات تجد تجليها في الشعر العربي القديم خلال عصور ازدهاره (من الجاهلية إلى العصر العباسي)، فكان ذلك سببا في اتخاذ الشعراء الإحيائيين من هذا الشعر نموذجا يُحتذى في سعيهم إلى التجديد.

وقد كان استناد هذه الحركة الشعرية على مبدأ العودة إلى الماضي سببا في تسمية هذه الحركة لدى بعض النقاد بأسماء أخرى أبرزها: التقليدية والكلاسية. وإذا كانت التسمية الأولى تفتقد إلى الدقة، لتغييبها البعد التجديدي للحركة وعدم مراعاتها للسياق الثقافي الذي تحكم في نشأتها، فإن في تسميتها بالكلاسية إشارة إلى بعض السمات المشتركة بينها وبين الحركة الكلاسية الغربية من اتباع لمذهب القدماء، واهتمام بالوظيفة التربوية الإصلاحية للشعر، وارتباطه الشديد بالواقعين التاريخي والاجتماعي، دون أن يعني ذلك أن حركة الإحياء الشعري كانت تقليدا للكلاسية الغربية.

وهكذا فإن أهم ما يمكن أن نصف به حركة الإحياء الشعري أنها حركة شعرية تجسد الوعي بضرورة التحديث انطلاقا من الذات ومن قيمها الموروثة. وهي في ذلك لا تنفصل عن مجمل الحركات الإصلاحية التي نشأت في المجتمع العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في سعيها إلى التجديد عن طريق استلهام النموذج القديم في عصوره المزدهرة.

## (2) الخصائص العامة لحركة الإحياء الشعري:

ينتج عما ذكرناه سابقا استخلاص خصائص عامة تميز حركة الإحياء الشعري يمكن تلخيصها في: الارتباط بالقديم، والصدق في التعبير، والوظيفة التهذيبية والإصلاحية للشعر.

**أ- الارتباط بالقديم:** يشمل هذا الارتباط تقليدا للأغراض والمعاني وتقليدا لأساليب التعبير، إضافة إلى استحضار الماضي وأمجاده.

فقد نظم الشاعر الإحيائي قصائده على الأغراض القديمة من مدح وثناء وفخر... كما استحضرت القيم التقليدية التي كانت موضوعا للمدح والفخر كالغروسية والشجاعة والكرم، وشكل التراث العربي والإسلامي، بشكل عام، موضوعا للاستلهام وموضوعا للمثل الأعلى الذي دعا الشاعر الإحيائي إلى

احتدائه. وكانت المعارضات الشعرية، التي عُرف بها أحمد شوقي بشكل خاص، نموذجاً واضحاً لهذا الارتباط بالقديم.

وشكل ارتباط الشاعر الإحيائي بأساليب التعبير القديمة وسيلة لتخليص الشعر العربي مما أصابه من انحطاط وابتدال في الأسلوب، عن طريق الاحتفال بأساليب الإبداع الحقيقية التي تفسح مجالاً للخيال كالصور الشعرية البيانية، وعن طريق الحفاظ على بعض ما كان القدماء يعدونه ضمن عناصر "عمود الشعر" التي لا يقوم الشعر بدونها، وخاصة ما يتعلق منها بأوزان الشعر وقوافيه، فنظم قصائده على الأوزان المأثورة عند القدماء وحافظ على مفهوم القافية ووحدها.

وبسبب هذا الارتباط بالنموذج القديم جاء كثير من القصائد الإحيائية محافظاً على البناء القديم الذي يعتمد على تعدد الأغراض والافتتاح بالمقدمات التقليدية كالمقدمة الغزلية ومقدمة وصف الشيب. كما أن اللغة التي نظم عليها عدد من الشعراء، وفي مقدمتهم البارودي، كانت مأخوذة من المعجم القديم

**ب- الصدق في التعبير:** لم يكن استحضار النموذج القديم تقليداً آلياً له، بل كان وسيلة لإحياء الشعر بشكل يجمع بين استحضار هذا النموذج، في مختلف جوانبه، وبين الصدق في التعبير. وبسبب هذا الصدق تراجع المدح التكميلي بشكل ملموس مع شعراء هذه الحركة، ليحل محله مدح بأبعاد وطنية وقومية، كما تراجع احتفال الشعراء بالمحسنات البديعية التي كانت لديهم دليل تكلف وانعدام صدق التجربة.

**ج- الوظيفة الإصلاحية للشعر:** تعد الوظيفة الإصلاحية للشعر وجهاً من أوجه اتصاله بالقديم، من جهة، وتعبيراً عن ارتباطه بالعصر وقضاياها، من جهة أخرى: ذلك أن الشعراء الإحيائيين كانوا يسعون إلى إحياء وظيفة الشعر ومكانته التي كانت له قديماً قبل أن يغرق في أحوال الانحطاط. وتعني استعادة الشعر لوظيفته أنه وسيلة من وسائل إصلاح النفس والمجتمع، مثلما عبر عن ذلك البارودي في تقديمه لديوانه. وقد نتج عن ذلك تحول على مستوى مواضيع هذا الشعر، بهيمنة المواضيع الوطنية والقومية والخلقية والاجتماعية والدينية على جزء كبير منه، مع عدم التخلي عن المواضيع الوجدانية والذاتية التي ترتبط بصدق التعبير الشعري.

وأبرز أعلام الإحياء الشعري الذين كانت لهم ريادة تجسيد هذه الخصائص في شعرهم بعد البارودي: حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وأحمد محرم وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي.

### **(3) محمود سامي البارودي وريادة حركة الإحياء الشعري:**

كان الشاعر المصري محمود سامي البارودي (1838-1904) ذا ثقافة عربية محافظة، غير مطلع على اللغات الأجنبية، بحيث تلقى تعليماً دينياً، بجانب تكوينه العسكري. وقد أثر ذلك في حياته السياسية كما أثر في اتجاهه الأدبي: فقد جعله تكوينه العسكري ينضم إلى الجيش، ليكون بعد ذلك أحد زعماء الثورة العرابية التي قادها أحمد عرابي سنة 1879 بهدف التحرر من الهيمنة العثمانية. وكان من نتائج ذلك تعرضه لمحاولة اغتيال ثم نفيه إلى سرنديب بعد دخول الإنجليز إلى مصر. أما ثقافته المحافظة فقد جعلته رائداً لحركة الإحياء الشعري التي تنطلق من استلهام النموذج القديم من أجل تجديد الشعر العربي وإعادته إلى مكانته التي كان عليها.

وقد عبر البارودي عن توجهه الإحيائي في تحديده لمفهوم الشعر وقيّمته ضمن تقديمه لديوانه، كما عبر عنه من خلال الممارسة الشعرية التي أسست لخصائص الشعر الإحيائي على مستوى المضامين والأغراض وأساليب التعبير.

فعلى مستوى الأغراض والمضامين جاء شعره مجسدا لاستمرار الأغراض القديمة من غزل وهجاء ورناء وشوق ومدح ووصف وفخر... غير أن الغاية الإحيائية التي تربط الشعر بالواقع جعلت الشاعر يطوّع هذه الأغراض لتستجيب لتلك الغاية، فجاء كثير منها مرتبطا بالموضوعات الوطنية والحماسية، كما تراجع المدح التكمسي واكتسى المدح أبعادا وطنية وقومية، وإن كان يستمد كثيرا من معانيه وقيمه من القصائد المدحية القديمة.

وعلى مستوى الأسلوب حافظ البارودي على اللغة التقليدية التي تستقي مادتها من المعجم القديم، كما احتفل بالصور الشعرية البيانية، وقلت عند المحسنات البديعية التي كانت دليل تكلف وعدم صدق في التعبير، كما اعتنى بنظم قصائده على البحور المأثورة عند فحول الشعراء القدماء كامرئ القيس وأبي تمام والمنتبي... وحافظ على وحدة القافية، مع اهتمامه بتصريح مطالع القصائد أو تقفيتها، جريا على ما هو مشهور عند أولئك الشعراء. وجاء بناء قصائده مستجيبا لهذا التوجه أيضا نحو استلهاهم النموذج القديم، بميل الشاعر إلى القصائد الطويلة ذات المواضيع المتعددة، مع إدخال شيء من التجديد على هذا الجانب ببداية التخلي عن المقدمات الغزلية والطللية.

لقد كان شعره، بالمجمل، معبرا عن توجه إصلاحى يهدف إلى جعل الشعر وسيلة لإحياء المجتمع العربي وبعثه مما أصابه من موت وجمود، كما يهدف إلى بعث هذا الشعر نفسه وتخليصه من رواسب الانحطاط. وهذا ما جعل مفهوم الإحياء عنده لا يقف عند حدود تقليد القديم، بل يأخذ من هذا القديم ما يجدد به الشعر والحياة، فانعكس ذلك على مستوى المضامين والأغراض والأساليب التي جاءت معبرة عن مفهوم التجديد من منطلق استلهاهم النموذج القديم، فجمعت بين التجديد وبين اتباع منهج القدماء.

ومن نماذج شعره الخلقى الذي يهدف منه إلى تهذيب النفس وإصلاحها قوله في مدح الصبر:

صبرت وما في الصبر عار على الفتى      إذا لم يكن فيه مُعاباً ولا نُكْرُ  
ولو لم يكن في الصبر أعدلُ شاهدٍ      على كرم الأخلاق ما حُمَدَ الصبرُ

وقوله في الزهد:

ألهتكم الدنيا عن الآخرة      وهي من الجهل بكم ساخرة

#### (4) حركة البعث والإحياء في النصف الأول من القرن 20:

إذا كان البارودي رائد حركة الإحياء الشعري ومؤسسها الحقيقي، من خلال ما أنتجه من شعر وما عبر عنه في تقديمه لديوانه، فإن هذه الحركة قد شهدت امتدادها خلال النصف الأول من القرن العشرين مع عدد من الشعراء الذين حملوا لواءها في المشرق العربي خاصة وأبرزهم: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي.

فقد كان الشاعر المصري أحمد شوقي (1868-1932) مرتبطاً بأصول الثقافة العربية رغم إقامته مدة بفرنسا واطلاعه على الآداب الأوروبية. وأثر هذا على طبيعة إنتاجه الشعري مثلما أثرت عليه معاصرته للتحويلات الكبرى في مصر أواخر القرن التاسع عشر من ضعف الدولة العثمانية وحرب الأتراك مع الروس والثورة العربية والاحتلال الإنجليزي لمصر. فجاء شعره، بسبب ذلك كله، وبتأثير من الحركة التي بدأها البارودي، ممثلاً لحركة الإحياء الشعري بأبعادها الإصلاحية والتجديدية وارتباطها بالقديم.

وقد عبر شوقي عن هذا التوجه الإحيائي من خلال المقدمة التي وضعها لديوانه وأبرز فيها قيمة الشعر وضرورة تجديده، كما جاء شعره معبراً عنه أيضاً من خلال جملة من الخصائص الموضوعية والفنية التي تتفق في كثير من جوانبها مع ما نجده في شعر البارودي، وتتفرد بخصائص أخرى ساهمت في تطوير هذه الحركة وأبرزها: إدخال العنوانات على القصائد، باستثناء قصائد الغزل (وهو ما لم يكن معروفاً لدى الشعراء قبله)، وكثرة المعارضات الشعرية<sup>1</sup>، وابتداع موضوعات وأشكال جديدة في الشعر كشعر الأطفال والشعر المسرحي، مع الانتقال باللغة الشعرية إلى البساطة والابتعاد بها عن تعقيد المعجم القديم.

فمن بين معارضاته الشعرية يمكننا الإشارة إلى نونيته التي يتشوق فيها إلى مصر:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا      نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

وهي معارضة لقصيدة ابن زيدون النونية:

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا      وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحننا      شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

ومن أشهر معارضاته: قصيدة "نهج البردة":

ريم على القاع بين البان والعلم      أحل سفك دمي في الشهر الحرم  
التي يعارض بها بردة البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:  
أمن تذكر جيران بذي سلم      مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ومن هذه المعارضات أيضاً: قصيدة "انتصار الأتراك في الحرب والسياسة" التي مطلعها:

الله أكبر كم في الفتح من عجب      يا خالد الترك جدد خالد العرب

والتي يعارض بها قصيدة أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب      في حدّه الحدّ بين الجِدِّ واللعبِ

وقصيدة "مضناك" التي مطلعها:

مضناك جفاه مرقدّه      وبكاه ورّحمَ عودّه

والتي يعارض بها قصيدة الحصري القيرواني:

يا ليل الصب متى غدّه      أقيام الساعة موعده؟

<sup>1</sup> المعارضة في الشعر: أن ينظم الشاعر قصيدة على منوال قصيدة قديمة، فيحافظ على غرضها العام وعلى وزنها وقافيتها.

وبذلك يكون مفهوم الإحياء عند أحمد شوقي قائما على تحقيق التجديد في بعض الجوانب مع الارتباط بالتراث العربي واستلهام النموذج الشعري القديم.

وقد قاد هذه الحركة في المشرق، بجانب شوقي، شعراء آخرون أبرزهم: الشعر العراقي **جميل صدقي الزهاوي** (1863-1936) الذي حدد "نزعته الشعرية" في تقديمه لديوانه موضحا أنها قائمة على الصدق في التعبير وعلى الارتباط بالواقع وحياة الناس والثورة على التكلف وعلى التقاليد البالية. فجسد جزءا من هذا التجديد الذي دعا إليه من خلال تنوع قوافي قصائده مع الحفاظ على وحدة الوزن. ومنهم الشاعر العراقي أيضا **معروف الرصافي** (1875-1945) الذي كان من أوائل الشعراء الذين أدخلوا مفهوم التأمل في الوجود إلى شعرهم، ممهدا بذلك للحركة الرومانسية التي صار هذا التأمل عندها من أهم أركان تصورها للكتابة الشعرية. ومنهم الشاعر المصري حافظ إبراهيم (1872-1932) المعروف بشاعر النيل الذي توزعت أغراضه الشعرية بين الأغراض القديمة كالمدح والهجاء والغزل والثناء، والأغراض الجديدة التي تخض في مواضيع السياسة أو هموم الحياة اليومية وهموم الأمة ومظاهر التخلف في المجتمع، مع سيره، عموما، على نهج القدماء في أساليب التعبير والعناية بالصور الشعرية البيانية والتخلص من تكلف المحسنات البديعية.

وبذلك تكون حركة الإحياء الشعري أول حركة تجديدية في مسيرة الشعر العربي الحديث، تنطلق من وعيها بالتراث الشعري والثقافي العربي لتجعل منه منطلقا نحو تجديد الشعر وإحياء وظيفته في تغيير أحوال المجتمع والأمة. وإذا كانت هذه الحركة قد ظلت على مستوى جزء كبير من مضامينها وأساليبها وفيه لمنهج القدماء، فإنها قد فتحت الباب أمام الحركات التي تلتها وانطلقت منها لتواصل مسيرة التجديد، وفي مقدمتها الحركة الرومانسية باتجاهاتها ومدارسها المختلفة.